

الأمثل في تفسير كتاب الإن المنزل

[12] وهنا يمكن أن ينقدح هذا السؤال، وهو: لمَ تباحث إبراهيم(عليه السلام) مع رسل الإن وجادلهم في قوم آثمين ظالمين - كقوم لوط - وقد أُمروا بتدميرهم، في حين أن هذا العمل لا يتناسب مع نبي - خاصّة إذا كان إبراهيم(عليه السلام) في عظمتته وشأنه؟ لهذا فإنّ القرآن يعقّب مباشرة في الآية عن شفقة إبراهيم وتوكله على الإن فيقول (إنّ إبراهيم لحليم أواه منيب)(1). في الواقع هذه الكلمات الثلاث المجملة جواب على السؤال المشار إليه آنفاً. وتوضيح ذلك: إنّ هذه الصفات المذكورة لإبراهيم تشير إلى أنّ مجادلته كانت ممدوحة، وذلك لأنّ إبراهيم لم يتّضح له أنّ أمر العذاب صادر من قبل الإن بصورة قطعية، بل كان يحتمل أنّّه لا يزال لهم حظ في النجاة، ويحتمل أنّهم سيرتدون عن غيهم ويتّعطون، ومن هنا فما زال هناك مجال للشفاعة لهم ... فكان راغباً في تأخير العذاب والعقاب عنهم، لأنّه كان حليماً، ومشفقاً وأوَّاهاً ومنيباً إلى الإن. فما ذكره البعض من أنّ مجادلة إبراهيم إذا كانت مع الإن فلا معنى لها، وإذا كانت مع رسله فهم أيضاً لا يستطيعون أن يفعلوا شيئاً من أنفسهم، فعلى كل حال فالمجادلة هذه غير صحيحة - مجانِب للصواب. والجواب: أنّّه لا كلام في الحكم القطعي، أمّا لو كان الحكم غير قطعي فمع تغيير الظروف وتبدل الأوضاع يمكن تغييره، لأنّ طريق الرجوع لا زال مفتوحاً، وبتعبير آخر: فإنّ الإوامر في هذه الحالة مشروطة لا مطلقة. وأمّا من احتل أنّ المجادلة كانت مع الرسل في شأن نجات المؤمنين، واستشهدوا على هذا القول بالآيتين (31) و(32) من سورة العنكبوت (ولمّا جاءت رسلنا إبراهيم بالبشرى قالوا إنّنا مهلكوا أهل هذه القرية إنّنا أهلها) كانوا _____ 1 - "الحليم" مشتق من "الحلم" وهو: الأناة والصبر في سبيل الوصول إلى هدف مقدّس، والأوَّاه في الأصل: كثير التحسّر والآه سواء من الخوف من المسؤولية التي يحملها أو من المصائب، والمنيب من الإنابة أي الرجوع.